الخطبة الخامسة

تغيير شرع الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير..

أما بعد:

«فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقًا سحقًا لمن غير بعدي».

1 - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 49/ 10]، تقرير رباني ووصف رباني للمؤمنين بأنهم إخوة، وللإخوة واجبات، فمن حق الأخ أن يُعان وأن يُنصح له وأن يحترم ولا يُخذل ولا يُظلم ولا يُهان، وأن تُمَدَّ له يد العون والمساعدة والنجدة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وأن نُعلّمه وأن نُذكّره وأن نمسك على يديه إذا هم بظلم أو سوء، وأن نشجعه ونآزره إذا همَّ بخير، وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه». أخرجه البخاري (2310)، ومسلم (2580) عن ابن عمر.

2 - وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 61/ 4]، والله وصف المؤمنين في الصلاة، وأمرهم الرسول ﷺ بقوله: «تراصوا» أخرجه أحمد (13277)، من حديث أنس: «استووا أو ليخالفن الله بين قلوبكم»، أخرجه البخاري (685) ومسلم (436) من حديث النعمان بن بشير، والله وصف المؤمنين في القتال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 61/ 4]، وهذا

التراص لا يتم إلا باتحاد العقيدة وإخلاص القلوب لله والمحبة الحقة من المسلم لأخيه المسلم، وبالرجوع إلى حكم الله ورسوله فيما يجري بين الناس وبين الأخوة، ولذلك قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 4/ 65].

فالإيمان مشروط: أ - بتحكيم الله ورسوله، ب - الرضا بما شرع الله والقبول به، ج - السعادة التامة بهذا الشرع وبهذه الأحكام الإلهية، بهذه النقاط يتحقق الإيمان.

3 - وبالنقاط الثلاث السالفة الذكر تتحقق الأخوة في الله:

أ - اتحاد العقيدة هي ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته والتابعون من بعده، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: 8/ 46]، وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة؛ وهي الجماعة» أخرجه أبو داود (4596)، والترمذي (2640)، وابن ماجه (3991) كلهم من حديث أبي هريرة، وقال ﷺ في رواية: «سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عِرْق ولا مفصل إلا دخله» أخرجه أبو داود (4597) من حديث معاوية بن أبي سفيان.

(تتجارى بهم الأهواء) أي: يتداعون ويتواقعون في الأهواء الفاسدة، كما يجري داء الكلب فإنه يسري بالإنسان حتى يهلكه ويدمره، وكذلك الأهواء تسري وتتمادى في النفوس كسريان السم في الدم حتى تهلكها، لأن الأهواء تحجب عن الحق وتوقع صاحبها في المهالك، فيبدأ الإنسان بحظ النفس وحظ الذات وحب الأنا وحب الدنيا وحب الجاه وحب العظمة، ويستمر الحجاب ويستشري الهوى حتى يعزل صاحبه عن الحق بكامله، ويدخل في البدع والضلالات، فإذا مات على هذا والعياذ بالله كان

ممن اسودت وجوههم كما قال مالك بن أنس: (اسودت وجوه أهل الأهواء)، وقال ابن عباس: (اسودت وجوه أهل البدعة والفرقة).

ب - إخلاص القلوب إلى الله هي البند الثاني من بنود التراص، وكان المؤمنون كالبنيان المرصوص، وذلك لأن القبول لا يأتي إلا مع الإخلاص، كما قيل: «إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلُص له»، وقوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الأغنياء عن الشريك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو لغيري» أخرجه مسلم (2985) من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ للصحابي الذي سأل: إني أعمل العمل لله، وأحب أن يُطلِعَ عليه فقال: «لا»؛ أي: أنه لا يقبل إلا أن يكون خالصاً تاماً لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: 98/ 5].

جـ - والمحبة الحقة الخالصة من المسلم لأخيه، محبة يرجى بها وجه الله؛ أي: مساعدة لوجه الله، قال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾ [الإنسان: 76/ 8 - 10].

وفي الحديث: «بايعنا رسول الله ﷺ على النصيحة لكتاب الله ولرسوله وأئمة المؤمنين وعامتهم» أخرجه مسلم (55) من حديث تميم الداري، وقوله ﷺ: «إنما الدين النصيحة» جزء من الذي قبله.

د - التحاكم إلى شرع الله في كل ما شجر بيننا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: 33/ 36].

4 - وبناء على ما سبق نقول: إن كل من بدل أو غيّر أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به ولم يجر على لسان نبيه ولا في أفعاله، فهو من الأشقياء والمحرومين

والمطرودين عن حوضه ﷺ وبارك، ومثال هؤلاء اليوم: (جماعة تقارب الأديان) أو الذين يسمون أنفسهم (Interfaith) فهؤلاء بدلوا وغيروا فيما قاله الله، وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: 5/ 73]، وقال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: 5/ 17]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: 5/ 77 – 78]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: 5/ 51 – 52]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: 5/ 81].

فهؤلاء الذين يضعون أيديهم بأيدي اليهود والنصارى، ويطالبون بالعيش الرغيد والاختلاط والوئام، وعدم تكفير أهل الملتين، ويوالونهم ويحبونهم، ويثقون بهم، ويتعاملون معهم، حتى إن اليهود والنصارى صاروا هم المسؤولون عن تشغيل أموال المسلمين واستثماراتهم، وأصبحوا هم المخططون والمستشارون، وهؤلاء الذين ينادون بالصداقة والسلام والوئام هم الأعداء حقاً، لأنهم يريدون الانحلال من المسلمين، يريدون تفسيد الناشئة، فيتصاحب جون وجورج مع فاطمة وزينب، ويتصادق محمد وأحمد وحسن مع ماري ونانسي، وإذا حصل الاختلاط والاندماج، فمن هو الخاسر نحن أم هم؟ من المخالف لشرع الله نحن أم هم؟ هم ليس عندهم شريعة وإنما عندهم ملة وأهواء، لقد ترفع الله سبحانه عن أن يُسمي قوانينهم التي

اصطنعوها شريعة، لأنها ما هي بشريعة ولا هي شرعية وإنما من مخلفات الأهواء والضلالات فسماها ملّة، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 2/ 120]، وكما جاء في الحديث آنفاً: «افترقوا على اثنتين وسبعين ملة»، وهؤلاء الذين يقولون: نخاف أن لا تقوم لنا قيامة هنا في الغرب بدون التعاون مع اليهود، أقول لهؤلاء المرضى: ألم يقل الله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: 5/ 52]، هؤلاء تركوا الاستعانة بالله ومدوا أيديهم إلى أعداء الله، كيف يصح هذا لمن له عقل يفكر فيه؟ كيف تصح مخالفة ما قرره الله وبيّنه؟ قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: 5/ 82]، بل قل لي: بأي لغة يفهمون، أيوجد أوضح مما قاله الله، بكل بساطة؟ أشد الناس عداوة للمؤمنين هم اليهود والذين أشركوا، أفنترك كلام ربنا لنأخذ بأقوال هؤلاء المعتوهين الخارجين عن الجادة؟! ويل لهم مما حرفوا، وويل لهم مما كسبوا، وويل لهم مما سيلاقيهم، وإليك بعضاً مما سوف يلقونه.

5 – كل من خالف جماعة المسلمين وفارق ما اتفقت عليه الأمة من كتاب ربها وسنة رسولها وفهم الصحابة الكرام، وخرج من الدنيا بعقائد تناقض التوحيد الخالص فهذا من المسحوقين فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض من مر عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، لَيَرِدَن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يُحال بيني وبينهم» متفق عليه.

وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه زيادة وهي: «فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً لمن غيّر بعدي» متفق عليه.

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري قوله ﷺ: «حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنه،

قال: إنهم ارتدوا بعدك القهقرى، فلا أراه يخلُص منهم إلا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَم، فقال: هلم، أي قال الملك لهم: تعالوا، يريد صرفهم عن الحوض الذي يقصدونه وقول الملك: (إلى النار والله) إنما أقسم بالله ليدخل عليهم الحسرة؛ بأن ذهابهم إلى النار أمر مقطوع به لا فرار منه، لا تنفعهم شفاعة الشافعين وذلك بسبب تخليهم عن سنته ﷺ، وعن تعاليمه، وأحدثوا وابتدعوا ورفعوا ضلالات ما أنزل الله بها من سلطان، والقهقرى الرجوع من غير إرادة الوجه إلى جهة الرجوع، وقوله: (فلا أراه) أي: فلا أظنه يصل إلى الحوض منهم إلا عدد قليل، يشبه بذلك الإبل الهاملة لوحدها بلا راع.

6 - فالإسلام والإيمان يدعونا لنكون إخوة، متراصين متضامنين مؤمنين، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 49/ 10]، مفاده: إذا كنا مؤمنين حقًا فإننا إخوة، فلا أخوّة إلا أخوّة الدين والعقيدة، أخوّة في وحدة المنهج، ووحدة الهدف، وهي جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، أما من بَدَّل وغيّر وفرّق وافترق فهذا ليس من الإخوة وليس من الدين، قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 30/ 31 - 32].

لذلك يجب علينا الاعتصام بحبل الله المتين والذي هو قرآنه وسنة نبيه وفهم الصحابة الكرام، ويجب علينا الإخلاص في أعمالنا كلها لله تعالى، ويجب أن نكون عباد الله إخوانًا كما قال ﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «لا تباغضوا ولاتحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» أخرجه البخاري (5718)، مسلم (2558) من حديث أنس.

ويجب أن تكون عندنا المرجعية الشرعية، فلا مجال للآراء ولا مجال للأهواء، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 16/ 43].

فإما أن نعلم ونأتي بالدليل والأقوال وفهم العلماء الأفاضل من الصحابة وممن أتى بعدهم، وإما أننا جُهال نخاف ربنا ولا نتكلم فيما لا نعلم، ونترك الأمر لأهل العلم وأهل الدليل والبرهان، فهم مشاعل الهدى وهم العلماء، وهم أهل التفسير والاختصاص، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: 10/ 17]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 21]، انظر إلى هاتين الآيتين واعرف المجرم والظالم، اللهم إني أعوذ بك أن أضلَّ أو أُضلّ أو يُضَلّ عليّ، آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم